﴿ذَٰلِكَ ۖ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾﴾ [الحج: 30]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

تعظيمُ حرمات الله من أجَلّ أعمال القلوب

لمّا ذَكَر القرآنُ في الآيات السّابقة تكليفَ إبراهيم ﷺ بخطابِ الأمَمِ أنْ يَحجّوا على التّفصيل الّذي كان؛ نَبّه هنا على خُلاصةٍ ينبغي أن تُعتَبَر، وهي إيقاع الشَّعائر والتّكاليف على جهة التّعظيم لها - تحريضًا على الاجتهاد فيها، واحتراسًا من الإخلال بحُرمتها.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يُعَظِّمْ﴾: أصل (عظم) يدلّ على كِبَرٍ وقوّة[1]، والعَظْمُ جمعه: عِظام، وعَظُمَ الشَّيْء: أصله: كبُر عظْمه، ثم استُعير لكلِّ كبيرٍ؛ فأُجري مجراه محسوسًا كان أو معقولًا، عينا كان أو معنًى[2]، والمعنى في الآية: يعلم بأنّ الشعائر واجبة المراعاة والحفظ والاستمرار على ذلك[3].

2) ﴿ٱلرِّجْسَ﴾: أصل (رجس) يدلّ على اختلاط؛ ومنه (الرّجس) القذر؛ لأنَّه لطْخٌ وخَلْط[4]، وكلّ قذرٍ رِجْس، وكلّ (رِجْس) فهو بمعنى النَّجِس[5]، والرِّجْسُ يكون على أربعة أوجه: من حيث الطَّبع، أو من جهة العقل، أو من جهة الشَّرع، أو من كلِّ ذلك كالمَيْتَة؛ فإنَّ المَيْتَة تُعافُ طبْعًا وعقلًا وشرعًا[6].

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (عظم).
(2) الرَّاغب، المُفردات: (عظم).
(3) النّسفيّ، مدارك التّنزيل: 2/ 439.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (رجس).
(5) جبل، المعجم الاشتقاقيّ: رجس.
(6) الرَّاغب، المُفردات: (رجس).

3) ﴿ٱلْأَوْثَٰنِ﴾: جمع (وثن)، وأصله: حجارة كانت تُعبد[1]؛ ومنه: الوثن والواثِن: المُقيم الرّاكد الثّابت الدّائم[2]، والوثن والوتن - يروى بالثاء والتاء - ومعناهما الدّوام على العهد، والوثن: الصَّنم، وقيل: الصغير منها[3].

4) ﴿ٱلزُّورِ﴾: أصل (زور) يدلّ على المَيْل والعدول[4]؛ ومنه الزَّوْر: الصَّدرُ، وقيل: وسَط الصَّدر، وقيل: أعلى الصَّدْر، والزّوَر - بالتَّحريك - عِوَج الزّوْر ومَيْله[5]، من ذلك الزّور: الكذِب والافتراء على اللّه؛ لأنّه مائلٌ عن طريقة الحقِّ[6]، ويُسمَّى الصَّنم زورًا؛ لكون ذلك كذِبًا ومَيْلا عن الحقِّ[7].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

إنَّ مَن يُعظّم حرمات اللّه ﷻ بأن يترك مُلابستها واقترافها؛ فهو؛ أيْ: هذا التَّعظيم، خيرٌ له عند ربِّه؛ إذ بسبب هذا التَّعظيم لتلك الحرمات ينال رضا ربه وثوابه[8].

أعمالُ القلوبِ مُعتبرةٌ في صحّة أعمال الجوارح

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دلالة الاستئناف بـ ﴿ذَٰلِكَ﴾ وسبب العطف بالواو:

في قوله: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ﴾ سيق اسم الإشارة ﴿ذَٰلِكَ﴾ للتّنبيه والرّبط بين معاقد الكلام الواحد ذي الوجوه والأقسام الّتي يتقرّر بعضها ببعض؛ فهي كاللُّحمةِ الفاصلة لاسترعاء التَّمييز والانتباه بين ما قبلها وما بعدها، تنبيهًا على أنّ ما بعدها هو كالخلاصةِ

الرَّبط بين معاقِد الكلام المتّحِد بإشارة التّنبيه

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (وثن).
(2) الجوهريّ، الصّحاح، وابن منظور، لسان العرب: (وثن).
(3) ابن منظور، لسان العرب: (وثن).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (زور).
(5) ابن منظور، لسان العرب: (زور).
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (زور).
(7) الرّاغب، المُفردات: (زور).
(8) طنطاويّ، الوسيط: 9/ 305.

والغرضِ ممّا قبلها؛ فوظيفتها في الرّبط واضحة، ووظيفتها في الفصل أنّها تفصِل الذِّهنَ للتَّوقّف والملاحظة ليربط أوّل الكلام بآخره عن تفكّرٍ وعناية، وعلامة هذه الإشارة في الدّلالة على هذه الوظائف أنّ ما بعدها لا يصلح أن يكون خبرًا لها[1]؛ ولذلك عطف بالواو الاستئنافيّة في قوله: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾؛ لاستحضار ما في السّباق مما له صلة بهذه الآية، وسيقتْ الإشارة بلفظ البعيد: ﴿ذَٰلِكَ﴾؛ للدّلالة على البُعد المجازيِّ في المنزلة، وأنّ ما قبلها عظيمٌ في مضمونه ذو بُعدٍ وخَطَر وكبير أثَر[2].

دلالة التَّعبير باسم الشَّرط (من):

أسلوب الشَّرط يُحرِّض المُخاطَب على التّفاعل والانتباه

اسم الشَّرط (مَنْ) أفاد العموم في جميع المُكلّفين من الرِّجال والنِّساء، وهو مُستعملٌ في جزاء ذوي العقل والعِلم، ومجيء التّركيب على أسلوب الشّرط؛ لتنزيله منزلةَ الوعد المُحقّق لِمَنْ قام بموجبِه وعمِل بمضمونه، وهو أبلغ في التّرغيب والتّحريض على الاحتراز من المخالفة والاستهانة بشأن شعائر الدّين وتكاليفه، وأسلوب الشّرط أخفّ على النّفوس وأرغب لها من أسلوب الأمر لتعليقه بالجزاء، فهو أيسر وأبلغ في فاعليّته مع المُخاطَب من أن يُقال: (عظِّموا حرمات الله).

دلالة التَّعبير بفعل الشَّرط مُضارعًا: ﴿يُعَظِّمْ﴾:

تجديد اكتساب النّيّات في تعظيم التّكاليف

صيغة المضارعة في فعل الشَّرط في قوله: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ﴾ دلّتْ على تجديد اكتساب النّيات في تعظيم أمر الله وحُرُماته، لاستمرار ذلك التَّعظيم وعدم انقطاعه، وفيه أيضًا تنبيهٌ على حياة هذا التَّعظيم في النَّفس والقلب؛ بما في الفعل من حرَكيةٍ.

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 9/ 141.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 9/ 141.

سِرّ الإضافة إلى الاسم الجليل:

تعظيم التكاليف تعظيمٌ للإله العظيم

لم يُقل في السّياق الكريم: (يعظّم الحرُمات)، بل أضاف المفعول إلى الاسم الجليل: ﴿حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ إشعارًا بعلّة التّعظيم، كأنّه قيل: عظّموا الحُرُمات لأنّها حرّمتْ بحكمٍ من الله، وأضافها إلى الاسم الجليل ﴿ٱللَّهِ﴾ دون غيره؛ للدّلالة على كمال التّرغيب والتّرهيب في الطّاعة والمخالفة، وعلى كمالِ الحكمة والمصلحة في تحريمها، وعلى كمال مصدرها في استحقاقه للحُكم بها، فاسم الجليل جامع لمعاني الكمال والجلال والاستحقاق وكمال الصِّفات قدرةً وقهْرًا، وحكمةً وحُكْمًا، وإحاطةً وعِلْمًا؛ وهذا يتناسق مع التّشديد في العمل والجزاء في السّورة، والنُّكتة الأظهر: الإشارة إلى معنى العبوديّة بالتّكاليف من المخلوق إلى الخالق سبحانه.

غرض التّعبير بجملة جواب الشّرط اسميّة وتنكير المُسنَد: ﴿خَيْرٌ﴾:

وَعْدُ اللهِ ناجز

التّعبير بجملة جواب الشّرط اسميَّة في قوله: ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ دلَّ على ضمانة الجزاء وثبوته - وعدَ الله لا يُخلف الله وعده!، وهذا يُقابل الحركيَّة في فعل الشَّرط: ﴿يُعَظِّمْ﴾، فيظهر من ذلك أن ثواب الله فوق العمل الصالح وخيرٌ منه، ويُؤيِّدُ هذا التَّنكيرُ في قوله: ﴿خَيْرٌ﴾؛ فهو يُفيد التّكثير والتّعظيم؛ أيْ: خيرٌ عظيمٌ واسعٌ أكبر من مَشقَّة عملِه ومَشقَّة امتناعه عن الحرمات.

غرضُ التّعبير بالمُسنَد إليه: (هو) ضمير غيبة:

في الإضمار خِفّةٌ في اللّفظ وجُنَّةٌ عن التّكرار وفُسْحةٌ في استشعار المعنى

التّعبير بالمُسنَد إليه ضمير غيبة في قوله: ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ﴾؛ لظهور عائده وعدم التباسه؛ أيْ: مَن يُعظّم؛ فالتّعظيم خير له، وفي الإضمار خِفّةٌ في اللّفظ، وجُنَّةٌ عن التّكرار، وفُسْحةٌ في تقدير المعنى.

الغَرضُ من التّعبير بالجارِّ والمجرور ﴿لَّهُۥ﴾ وبيان معنى اللّام:

عُبِّر بالجارِّ والمجرور ﴿لَّهُۥ﴾؛ للتّأكيد على أنّ عائدَ الجزاء كاملًا له، فلا ينتفع به إلّا هو، ويدلّ بمفهومه على أنَّ عاقبة الجناية له

وحده فلا يضرّ اللّهَ شيءٌ منها، واللّام في: ﴿لَّهُۥ﴾ هي لام الأجْل والاختصاص والمنفعة؛ أي: الخير لأجْله خاصّة، وتدلّ اللّام على معنى الاستحقاق؛ أيْ: خيرٌ له يستحقّه؛ فوراء قولِه: ﴿لَّهُۥ﴾ من المعنى عظيم التَّرغيب في تعظيم حرمات اللّه سبحانه وتعالى.

الفضل في الجزاء لا يُنافي أصل الاستحقاق بالعمل

سرُّ التَّعبير بالظَّرف: ﴿عِندَ﴾:

التَّعبير بالعنديَّة في قوله: ﴿عِندَ رَبِّهِۦ﴾ لإفادة معنى الاستقرارِ والثُّبوتِ والتَّحقُّقِ للجزاءِ المفهوم من قوله: ﴿خَيْرٌ لَّهُۥ﴾، وقولُه: ﴿عِندَ رَبِّهِۦ﴾ ظرفٌ لمكان حضور الشَّيء مُتعلّق بـ: ﴿خَيْرٌ﴾؛ لأنَّه بمعنى (أجْر)، أو يتعلَّق بمحذوف صفةٍ لـ: ﴿خَيْرٌ﴾؛ لأنّها نكرة، والصِّفةُ المُقدَّرة مؤكِّدةٌ للخير المذكور؛ أيْ: خيرٌ مُستقرٌّ عنده.

التعبير عن الثواب بالخير إطماعٌ للنّفوس فيه

فائدةُ إضافة الظَّرف إلى الرَّبوبيَّة دون اسم الجلالة:

إضافة الظَّرف إلى الرَّبِّ في قوله ﴿عِندَ رَبِّهِۦ﴾ أفاد تعظيمَ مُتعلَّقِ الظَّرف وهو ﴿خَيْرٌ﴾، فقد أكّدَ تعظيمَه الذّاتيّ المُستفاد من تنكيره بتعظيمِه الإضافيّ بنسبتِه إلى عنديّةِ المَحلِّ الجليل وهو اسم الرُّبوبيَّة المُضاف إلى ضمير المُكلَّف المُعظِّم لحرمات اللّه، لإشعاره بالقُربِ وكمالِ العناية، ولمزيدِ تشريفِه وتطمينِه باللُّطفِ والإحسان أنّ الجزاءَ المذكور مُتيقّنُ الثُّبوتِ والحصول مضمونُ الوقوع مأمونُ الفوات مع ما فيه من الإشعار بعلَّة الخير المذكور؛ أيْ: هو خيرٌ وأجرٌ عظيمٌ؛ لأنّه من الرَّبّ واسع الإحسان، وفي ذلك إشارة إلى أنّ هذا الجزاء بالخير أعظم من العمَل الَّذي جاء به، ففيه إشارة إلى أنّ الجزاء على الأعمال يحصل بالفضل لا بالاستحقاق الكامل له.

تأكيدُ التَّعظيم الذّاتيّ بالتَّعظيم الإضافيّ

موقع جملة ﴿وَأُحِلَّتْ﴾ ممّا قبلها:

جملة: ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ﴾ اعتراضيّة بين قوله: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾، وقوله: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾، جيء بها تقريرًا لما قبلها من الأمر بالأكل والإطعام في قوله: ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا

عطف الخير بجلّ الأنعام على الخير الَّذي هو الأجر والثّواب

﴿وَأَطۡعِمُواْ﴾، واحتراسًا من توهُّم أنّ الإحرام يُحرِّم تناولَ الأنعام كما يحرِّم الصيد[1].

غرضُ تقديم ﴿لَكُمُ﴾ على نائب الفاعل:

الإباحة تقتضي تمتيع النّاس بالنِّعم

تقدُّم شِبه الجملة ﴿لَكُمُ﴾ على نائب الفاعل ﴿ٱلۡأَنۡعَٰمُ﴾ للعناية والاختصاص والمنفعة؛ أيْ: أُحلّت لأجلِكم ومنفعتكم، وقد يدلّ على الحصر باعتبار أنَّ الخطاب للمسلمين دون غيرهم؛ ففيه على الوجهيْنِ تنبيهٌ على عظيم الامتنان والإحسان؛ فيكون فيه توطئة وتهيئة للأمر في قوله: ﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ﴾؛ ففي التَّقديم في نورِ دلالته المذكورة على الوجهيْن حثٌّ على استجابة ذلك الأمر.

غرضُ تعريف المُسند إليه باللّام ﴿ٱلۡأَنۡعَٰمُ﴾:

لمّا كانت الأنعامُ أشرفَ الطّعام خُصَّتْ بِذِكْر إباحتها دون غيرها

(أل) في ﴿ٱلۡأَنۡعَٰمُ﴾ في قوله: ﴿وَأُحِلَّتۡ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ﴾ للعهد؛ أيْ: الأنعام الصّالحة المأذون فيها، فلا يدخل فيها ما استُثني منها بالتّحريم في قوله: ﴿إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾، ولا يخرج منها ما حرّمه المشركون على أنفسهم افتراءً وإضلالًا؛ مثل: البحيرة، والسّائبة، والوصيلة، والحامي وبعض ما في بطونها[2].

دلالةُ الاستثناءِ في ﴿إِلَّا﴾:

الاستثناء في قوله: ﴿إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ استثناءٌ مُتَّصلٌ على اعتبار أنّ ﴿مَا﴾ عبارة عمّا حرّم الله من الأنعام لعارضٍ كالميتةِ، وما أُهِلّ به لغير الله تعالى منها، ويحتمل أن يكون الاستثناء مُنقطعًا على اعتبار أنّ ﴿مَا﴾ عبارة عمّا حُرِّم في مثل قوله سبحانه: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ﴾ [المائدة: 3]، والدّم ولحم الخنزير ليس من جنس الأنعام[3].

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 105.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 253.
(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 9/ 141.

معنى ﴿مَا﴾ ودلالتها في قوله: ﴿مَا يُتْلَىٰ﴾:

الآيـــاتُ تُـتـلى بـالـتّـكـلـيـف والتّشريع

﴿مَا﴾ في قوله: ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ موصولة؛ أيْ: إلّا الَّذي يُتلى عليكم تحريمُه، فمعمول التِّلاوة محذوف؛ لأنَّ الاستثناء فيما تعلَّق بالآيات من الحِلِّ والحُرْمة، وليس الاستثناء من نفْس الآيات المتلوَّة، والمُراد: ما جاء ذِكْرُه في سورة الأنعام في قوله: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾ [الأنعام: 145] الآيات، وما ذُكر في سورة النَّحل في قوله: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ [النّحل: 115][1]، وعِلّة التعبير بـ(ما) كونُ الكلام في المعاني لا في الأعيان[2]، وهو الآيات المتلوّة بالتّحريم، وقد أفادت الإبهامَ المُبَيَّن بآيتي الأنعام والنَّحل السّابقتيْن.

غرضُ التَّعبير بحرف الاستعلاء:

الآيـــاتُ المَتـلـوَّة في محلّ العُلوّ جديرةٌ بالإنصات والامتثال

عُبِّر بحرف الاستعلاء في قوله: ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ لكون التّلاوة واقعةً على الأسماع ويكأنّ الآيات وهي تُتْلى تنصبّ عليها وتنحدِر انصباب الشَّيء على الشَّيء فيستعلي عليه، والاستعلاء هنا مجازيٌّ يُصوّر استعلاء الآيات بالهدايةِ وإلزام التَّكاليف عليهم، وفيه إشارة إلى أنّ الآيات المَتلوّة في محلٍّ من العلوِّ فهي جديرةٌ بالإنصات إليها والعمل بمقتضاها، لا سيّما إذا تضمّنتْ خطابًا بالحِلّ أو الحرمة.

دلالة التعبير بصيغة المضارع في: ﴿يُتْلَىٰ﴾:

آيـــات الـلـه أحـقّ بـالـنّـظـر والاسـتـحـضـار كلَّ وقت

عُبِّرَ بالمضارع استحضارًا للصّورة الماضية لِما نزَل وتُلي وهو يَنزل ويُتْلى لمزيد الاعتناء بشأن التَّنزيل تحريضًا على دوام النَّظر فيه لضبط حلاله وحرامه عِلمًا وعملًا وللدّلالة على الاستمرار التَّجدّدي لِما يُتْلى وسيُتْلى في هذا المقام؛ فعلى هذيْن الوجهيْن يشمل ما نزل

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 17/ 253.
(2) فاضل السّامرّائيّ، معاني النحو: 1/ 130.

من القرآن في ذلك ممّا سبق نزول سورة الحج بأنّه تُلي فيما مضى ولم يزل يُتْلى ويشمل ما سينزل بعد ذلك مثل قوله: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ﴾ [المائدة: 103][1].

موقع جملة: ﴿فَٱجْتَنِبُواْ﴾ ممّا قبلها:

جملة ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ مُفرَّعةٌ على قوله: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾، وعُطفت بالفاء لإفادة معنى السَّببيَّة والإسراع في التَّعقيب بمدخولها وهو الأمر بالاجتناب؛ أيْ: فبسبب الوعد والجزاء على تعظيم حرمات الله اجتنبوا أصل المُحرَّمات - رجس الأوثان وقول الزّور، والعطفُ بالباء يعني عِظَم المعطوف عليه وقوته في باب السَّببيَّة.

تقديم الوعد بالثَّواب على التَّكليف بالأعمال إفساحٌ للنَّفس وتحفيزٌ لها

معنى الأمر ودلالة صيغته في: ﴿فَٱجْتَنِبُواْ﴾:

الأمر في قوله: ﴿فَٱجْتَنِبُواْ﴾ للوجوب؛ لأنَّ اللَّفظ نصٌّ في التَّحريم، وهو التَّعبير بالاجتناب الدّال على المباعدة والمُفارقة لمعمول الفعل، وهذا يوقع في النَّفس عظيمَ خطر المَنهيِّ عنه؛ ولهذا خرج في صيغة (الافتعال: الاجتناب) الدّالَّة على غاية الجهد؛ وهذا يعني أن القوم الكافرين ساعة خطابهم بهذا كانوا عريقين في الكُفر راسخين فيه.

لفظُ الاجتنابِ نصٌّ في التَّحريم

معنى (أل) في: ﴿ٱلرِّجْسَ﴾:

(أل) في ﴿ٱلرِّجْسَ﴾ لتعريف الجنس؛ فتُفيد العموم والإبهام؛ أيْ: كلّ ما يَصدق عليه حقيقة الرِّجْس معنويًّا كان أو حِسّيًّا، إلّا أنَّه عيَّن الرِّجس ومَيَّز إبهامه وخصَّص عمومَه بقوله: ﴿مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾[2]، وهذا البيان بعد الإبهام تصويرٌ لخطر رِجْس الأوثان، وأنَّ على القوم أن يتنبَّهوا له؛ لأنَّه من شأنه أن يُجتَنبَ من غير أمر؛ لكمال ظهور قذارته وقبحه؛ ولكنهم في غفلة عظيمة عن ذلك، فنُبِّهوا؛ مِن أجل ذلك.

الرِّجس هو النَّجَس الحِسّي ويُستعمل في المعنويِّ

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 9/ 141، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 17/ 253.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 9/ 141.

مجاز الحذف في ﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ﴾:

التَّكاليف تتعلّق بالأفعال لا بالذّات

في قوله: ﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ﴾ مجازٌ بالحذف على تقدير مضاف؛ أيْ: فاجتنبوا عبادة الرّجس من الأوثان؛ لأنّ قوله: ﴿فَٱجۡتَنِبُواْ﴾ تكليف، والتّكاليف تتعلّق بالأفعال لا بالذّوات؛ ولأنّ الأوثان لا تكون رجْسًا إلّا إذا عُبِدَتْ، وفائدة الحذف بإيقاع الاجتناب على الذّات لا فِعل العبادة - المبالغة في التّنفير من عبادتها بالتّنفير منها[1].

معنى ﴿مِنَ﴾ ودلالتها في: ﴿مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ﴾:

تنوّع المعنى التّفسيريّ بتعدُّد الأوجُه المُحتملة لحرف المعنى

﴿مِنَ﴾ في قوله: ﴿ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ﴾ بيانيّة لتخليص جنسٍ من الأجناس؛ أي: بيانُ جنسِ الأوثان المعلوم من أجناس الرّجس المُبْهَمَة والمُجمَلة: ويحتمل أن تكون تبعيضيّة على اعتبار أنّ الرجس جنسٌ عامّ أُريد به بعض أنواعه؛ فالأوثان هي بعضُ الرّجس وقيل: هي على بابها من ابتداء الغاية؛ فكأنّه نهاهم عن الرِّجس عامًّا ثمّ عيّن لهم مبدأه الَّذي يُصيبهم منه إذْ عبادة الوَثَنِ جامعةٌ لكلّ فسادٍ ورجسٍ ومنشأ كليهما[2].

التّشبيه البليغ في إطلاق الرِّجس على الأوثان:

التّشبيه البليغ قائمٌ على المبالغة والتّأكيد

إطلاق الرِّجس بمعنى القَذَر والنَّجَس على الأوثان في قوله: ﴿ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ﴾ تشبيهٌ بليغٌ مُؤكّد؛ أيْ: الأوثان كالرّجس؛ فحذف الأداة ووجه الشَّبه لتصوير أنّ المُشبّه: ﴿ٱلۡأَوۡثَٰنِ﴾ هو عين المُشبّه به: ﴿ٱلرِّجۡسَ﴾ على جهة المبالغة والتَّأكيد في اتّحاد الطَّرفيْن، وهو - هنا - من مواضع مجيء المُشبَّه بيانٌ لإجمال المُشبَّه به[3]، والغرض غاية التَّنفير من الأوثانِ، ويجوز أن يكون الرِّجس استعارة كذلك.

---

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 9/ 142.

(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 155، وأبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 504، والآلوسيّ، روح المعاني: 9/ 142، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 254، والخطيب، التّفصيل في الإعراب: 9/ 269.

(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 253.

بلاغة أسلوب التَّجريد في إلحاق الأوثان بالرّجس:

تمحيضُ الأوثانِ لمعنى الرِّجس مبالغةٌ في التَّنفير منها

جرى قوله تعالى: ﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ﴾ على أسلوبٍ معنويٍّ بديعٍ يُسمّى التَّجريد، فكأنّه جرّد الرِّجس من جميع أنواعه وصورِه، ثمَّ استخرج منه الأوثان دون سائر أفراده، كأنَّ عبادة الوثن هي المعدِنُ والخُلاصة الَّتي ينجمِع الرّجس عليها، فَذَكَر الرّجسَ أوّلًا، ثمّ جرَّد الأوثان عنه كأنّه غيره، رغم أنّها أحد أنواعه، للتَّنبيه على تجرّد الأوثان وتمحُّضها في معنى الرّجس.

دلالة الواو في: ﴿وَٱجۡتَنِبُواْ﴾ وسِرُّ ترتيب جملتَي الأمرين والإضافة في ﴿قَوۡلَ ٱلزُّورِ﴾:

لا يقع الشّرك إلّا على زورٍ من القول

جملة ﴿وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ﴾ معطوفة على جملة ﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ﴾؛ وهو من باب عطف العامِّ على الخاص؛ لأنّ اتّخاذ الأوثان هو أُسّ الزّور؛ فهو أخصّ الزّور وأعلاه[1]، وفي ترتيبهما معنى أنَّ اتِّخاذ الرِّجس من الأوثان كأنَّه هو رأس قول الزّور كلِّه؛ وهو كذلك؛ فأعلى أفراد قول الزّور عبادة الرِّجس من الأوثان، فاجتنابُ قولِ الزّور بابٌ عموميٌّ عظيمٌ مَن لَزِمَه لم يقع في مثل عبادة الرِّجس من الأوثان، وإضافة القول للزّور في جملة ﴿قَوۡلَ ٱلزُّورِ﴾ بيانيّةٌ - عَرّفت القول وعَيّنتْ حقيقته[2].

سِرُّ تكرار فعل الأمر رغم قُرب ذِكْره:

اجتنابُ العامِّ يقتضي اجتنابَ ما يندرج تحته من أفراد الخاصِّ

إعادة العامل في قوله: ﴿وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ﴾ لمزيد الاعتناء بمضمون معموله - مبالغةً في خطَره والتَّنفير منه، ليكون مُستقِلًّا بالاجتناب، وفائدة ذلك: الإشارةُ إلى كون اجتنابه كافيًا في اجتناب ما يندرج تحته، فإذا استقلّ الإنسان باجتناب قول الزّور؛ فقد عُصِم واهتدى من سائر ألوان الضَّلال[3].

(1) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 4/ 70، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 105.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 9/ 142.
(3) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 10/ 478، والآلوسيّ، روح المعاني: 9/ 142.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الوثَن والصّنم:

الوثن أعـمّ من الصَّنم في دلالته

أشرنا فيما سبق إلى أصل كلمة (وثن)، والصّنَم: أصله: خبث الرائحة، وقوّة العبد، وهو صنِم، ككتِف؛ أي: قويٌّ، والوثن يُعبد[1]، وكان يُتّخذ من خشبٍ أو فضةٍ أو نُحاسٍ فيُعبَد[2]، فلعلّه سُمّي بالصَّنم لِما توهَّم فيه عابدوه من قوى خفيَّة ليس لها ظواهر تدلُّ عليها[3].

والفرق بين الصَّنم والوثن أنّ الصَّنم خاصٌّ بما له صورة (مصوّر – مجسّم)؛ فهذا أدْعَى إلى توهُّم سِرٍّ فيه[4] وبما نُحت من خشبٍ أو فضَّةٍ أو نُحاسٍ، وسياقات القرآن عن الأصنام تومئ إلى أنَّها شيء مصنوعٌ مُبالَغٌ في نحته ونقشه وتصويره[5].

وأمّا الوثن فهو حجارةٌ معبودةٌ قد تقع من غير تجسيم، فهو غير منحوت على صورة مُعيّنة[6]، وقد يُتصوّر استعمال الوثن في غير غرض العبادة ممّا لم يُحرِّمه الشَّرع؛ كزينةٍ أو بناءٍ ونحوه؛ فالمأمور باجتنابه في الأوثان هو عبادتها[7]، واشتمال كلمة (وثن) على معنى التَّكثير يُرجّح أنَّ المُعتبَر فيه أنّه شريكٌ أو ثانٍ (أيْ: تعدد المعبود) – تعالى الله عن ذلك – ! فملحظُ الوثن أنّه شريك، وملحظُ الصّنم أنَّه جثَّة مصوّرةٌ منصوبةٌ؛ وعليه: يكون الوثن أعمُّ من الصّنم[8].

(1) الفيروزابادي، القاموس المحيط: (صنم).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (صنم).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (صنم).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (صنم).
(5) محمد داود، معجم الفروق الدّلاليّة، ص: 322.
(6) ابن منظور، لسان العرب: (صنم).
(7) أبو حيّان: البحر المحيط: 6/ 366.
(8) جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (صنم).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والثلاثون،
سورة الأنبياء من الآية 89 إلى سورة الحَجّ الآية 50
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والثلاثون، سورة الأنبياء من الآية 89 إلى سورة الحَجّ الآية 50
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 34 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-76-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 34 : المجلد الرابع والثلاثون، سورة الأنبياء من الآية 89 إلى سورة الحَجّ الآية 50.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-76-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-3990244 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»